

تاريخ الاستلام: 2025/01/11 تاريخ القبول: 2025/12/14 تاريخ النشر: 2025/12/25

كوثر بوقروز¹

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي

Email: kawther.bougrouz@univ-oeb.dz

شاكر لقمان²

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي

Email: chaker.lokmane@gmail.com

الملخص :

تزامنت الكتابة عن السير والتراجم الجزائرية في القرن السابع الهجري مع حركة التأليف وتصنيف الكتب في طبقات العلماء والفقهاء، وقد اتسع نطاق هذه الحركة وشمل معظم جوانب الثقافة السائدة آنذاك، وبعد كتاب عنوان الد. راية لأبي العباس الغبريني. مغلطة فريدة ألخت لأعلام القرن السابع الهجري في الجزائر، وقد عمل صاحبه على التوثيق للنشاط العلمي والأدبي من خلال إيراد له لطائفة غير يسيرة من علماء وفقهاء وأدباء عصره ومن سبقهم، ولم يقتصر على بجاية، بل تعداها لأندلسيين ومشاركة؛ حيث ذكر سيرهم في مذاهبهم وعاداتهم ووفياتهم، كما أن الكتاب تجاوز التراجم وتعداها إلى مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، ومنه حاولنا الإجابة عن إشكالية المنهج لدى الغبريني في التوثيق لمادة كتابه. وعن القيم التوثيقية والفنية التي احتواها الكتاب والتي من شأنها إمطة اللثام عن قيمة الكتاب التاريخية والأدبية، وعن أهمية الموروث الثقافي الذي مثلته كتب السير والتراجم.

الكلمات المفتاحية: أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، أعلام الجزائر، سير وتراجم، قيمة توثيقية وفنية.

Abstract:

The writing on Algerian biographies and biographical dictionaries in the 7th century AH coincided with the movement of authoring and classifying books on the classes of scholars and jurists. This movement expanded to cover most aspects of the prevailing culture at the time. The book Unwan al-Diraya by Abu al-Abbas al-Ghubrini stands as a unique landmark, documenting the notable figures of the 7th century AH in Algeria. The author focused on documenting scientific and literary activities by including a substantial number of scholars, jurists, and writers of his era and those who preceded them. His work was not limited to Béjaïa but extended to Andalusians and Eastern scholars, detailing their sects, customs, and deaths. The book transcended mere biographies, delving into the social, political, economic, and intellectual life of the time. From this perspective, we explored the methodological issue in Al-Ghubrini's documentation of his book's content, and the documentary and artistic values it holds, revealing its historical and literary significance, as well as the cultural heritage represented by biographical literature.

Keywords: Abu al-Abbas al-Ghubrini , Unwan al-Diraya , Algerian figures , Biographies.

* المؤلف المرسل

المقدمة

إن حركة التأليف في كتب السير والتراجم الجزائرية التي ميزت القرن السابع الهجري وما يليه تبين عن بداية الوعي بالذات، وتسير إلى أن للجزائر نجبا من الرجال كان لهم دور فعال في مسيرة الحضارة الإنسانية، يبرز من خلال إنتاجاتهم العلمية والأدبية التي كانت صورة عن حياتهم الثقافية والدينية والاجتماعية، ولا ريب أن نجد مصنفات بلغت شهرتها الآفاق، تثبت أنهم لم يلعبوا دور الوسيط في الإبداع الثقافي فحسب، بل كان لهم دور ملحوظ، أسهم في حفظ تراث الأمة وصون رسومها عن الاندثار، والمطعم على تصانيفهم يستشف فيها مميزات اشتهر بها العلماء الأفاضل؛ منها الثقافة الموسوعية؛ إذ لم يركزوا في آثارهم على الموضوع الأصلي الذي من أجله صنفوا تأليفهم، بل نلاحظ تداخل العلوم الدينية والدينيوية في كتبهم، وهذا مرده إلى أن كتاب السير والتراجم كان يحلهم قضاة ومحدثين وفقهاء وذُباء ولغويين.

نجد أن نشاط التأليف في كتب السير والتراجم في الجزائر برز نجمه خلال العصر الوسيط، ولا نتعجب لهذا الأمر؛ فمنذ انطلاق حركة التأليف في مختلف العلوم اشتهر العلماء المسلمون بفن السير والتراجم أو بما يعرف بكتب "الطبقات" التي لم تدع أصحاب علم أو فن إلا عنييت بالترجمة له ورواية أخباره، ولا تنحصر أهميتها فحسب في نقل أخبار المترجم له، بل تتعداها إلى التوثيق للعصر و حفظ نصوص إبداعية، بحيث تمكن القارئ من رصد تطور العلوم والفنون في عصر بعينه، وقد كان للجزائر بصفة عامة ولحاضرة بجاية التي ضربت لمساجدها ودورها أكباد الإبل بصفة خاصة في العصر الوسيط حظ من هذه الكتابة التوثيقية التاريخية التي نزعنا نحو ثقافة أدبية واسعة، ومن الحق أن نقول: "إن هذه التراجم قد حفظت لنا كثيرا من أخبار المترجم لهم وملابسات حياتهم، مما لا يصعب معه على كاتب التراجم الحديث أن يخرج بصورة واضحة للشخصية التي يريد أن يترجم لها" (لجنة من أدباء الأقطار العربية، ص: 06)، ومنه نطرح إشكالية مفادها: إلى أي

مدى يمكن اعتبار كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس الغبريني وثيقة تاريخية موثوقة، تعبر عن البيئة العلمية والثقافية في بجاية خلال القرن السابع الهجري، وما هي الحدود التي تفصل بين القيمة التوثيقية والفنية للكتاب في تقديم صورة شاملة عن تلك الفترة؟

يعد كتاب: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للعلامة الفقيه المحدث أبي العباس أحمد بن محمد الغبريني (644 _ 704هـ / 1246 _ 1304م) إنجازاً فريداً وتركه جامعة للمعلومات؛ حيث لم يقتصر الكتاب على التأريخ لأعلام العصر، بل تجاوزها إلى المباحث الفنية والأدبية، ولهذا اهتم عدد من النقاد بدراسة أعمال الغبريني وتحليلها، ومن أبرز هذه الدراسات الدراسة الوصفية التحليلية لكتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للباحث ساعد غلاب، ودراسة الكتاب نفسه للباحث السعيد عقبة، إلى جانب العديد من القراءات الجادة التي أسهمت في تعميق فهم حياة الغبريني وأعماله.

وقد حرصنا في هذا المقال على التركيز على الجوانب الأدبية والفنية والتوثيقية وتتبع الحس النقدي في كتاب "الغبريني"، مستفيدين من الدراسات السابقة، مع اتباع مسار مختلف يركز على هذه الملامح الخاصة ويضيف قيمة جديدة للدراسات القائمة. ويمكننا القول إن الكتاب يعد في إطار أدب السير، بما تحمله هذه العبارة من دلالات ومفارقات. ونحن إذ نمضي قدماً في هذه الورقة البحثية سنتعرف على الغبريني وكتابه وسنرصد قيمته التوثيقية للمجتمع البجائي من حيث توثيقه لأعلام العصر والتأريخ للحياة الحضارية بمختلف أبعادها، ونتعرف على القيمة الأدبية للكتاب من حيث أسلوبه ودراسة الاختيارات الشعرية والنثرية فيه، ولامح النقد الأدبي في الكتاب، ونميط اللثام عن أهمية الموروث الثقافي الذي مثلته كتب السير والتراجم الجزائرية، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي

لاستعراض وتحليل متن كتاب عنوان الدراية بهدف استجلاء القيمة التوثيقية ثم
الفنية للكتاب.

2. العنوان الرئيسي الأول الغبريني: (محطات في حياته)

هو الفقيه المؤرخ الأديب أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني من أهل الفقه
والفضل الوافر، يعود نسبه إلى "بني غبرين" أو "بني غبري" من القبائل البربرية في
المغرب، ولد ببجاية وولى القضاء بمواضع عدة، آخرها مدينة بجاية، لم يذكر أحد
ممن ترجموا للغبريني تاريخ ميلاده، غير أننا نجد أن محقق كتابه "عادل نويس" ¹
يحددها في أواسط المئة السابعة سنة (644هـ / 1246م)، وقد تبحر في العلوم ونلمح
ذلك من خلال ترجمته لكوكبة من الشيوخ تلقى على أيديهم علم الفقه وعلم
الأصولين (أصول الدين وأصول الفقه) وعلوم اللغة العربية والتصوف والمنطق،
حيث تجاوزوا السبعين شيخا في كل من الجزائر والمغرب وتونس والأندلس. ويدل
هذا على جهده الكبير في سلوك طريق العلم والتعلم، يقول عنه المؤرخ القاضي
المباهي (ت 792هـ / 1390م): "كان في حكمه شديدا مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه
وحفظ لفروعه وقيام على النوازل، وتحقيق للمسائل، ولما ولى خطة القضاء ترك
حضور الولائم ودخول الحمام وسلك طريق اليأس من مداخلة الناس" (المرقبة
العليا فين يستحق القضاء والفتيا، 1948م، ص 132)، وفي خصاله يقول عنه ابن
قنفذ القسنطيني (810هـ / 1407م) : "الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل
قاضي الجماعة" (كتاب الوفيات، 1983، ص 399)، ومن هذه العبارات نتعرف على
مكانة الغبريني في عصره. وتتفق جلى المصادر على أنه توفي سنة أربع وسبعمئة
(704هـ / 1407م) بعد مرض عضال أصابه، وقيل مات مقتولا في سجنه بعد تحريض
السلطان "أبي البقاء خالد الناصر" (1309ت) عنه وتولى قتله منصور التركي بتهمة
تحريضه للبلاط الحفصي في تونس ضد أبي البقاء في بجاية (الديباج المذهب في
معرفة علماء أعيان المذهب، ط، ص 255، تاريخ ابن خلدون، 2000م، ص 462).

1.2 عرض وتحليل كتاب عنوان الدراية:

يعد كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" من أهم المصادر التاريخية ذات الصبغة الأدبية عن الحياة العلمية والأدبية في حاضرة بجاية بالمغرب الأوسط، كما أنه موسوعة بليوغرافية لأهم الكتب المتوفرة في القرن السابع الهجري، وقد حفل بتراجم لأزيد من مائة وأربعين عالما ومؤرخا وأديبا وشاعرا وغيرهم من المغرب الأوسط وأحوازه ولمن وفد عليه أو ارتحل عنه في كل من الأندلس والمغرب وتونس، وقد كانت عبارة ((المغرب الأوسط التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية؛ لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى والمغرب الأوسط) كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الأوسط)) (تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، ص 40)، ونجد أن عنوان الكتاب يشير بدقة إلى محتواه بيد أن صاحبه راعى فيه اختيار ألفاظه تحدث جرسا موسيقيا عند سماعها، وهي سمة تميزها الكتاب الأندلسيون بخاصة تأثرا بالبيئة الأندلسية، كما نجدها عند المغاربة أيضا.

وقد ذكر الغبريني سبب تأليف كتابه ومنهجه فيه حيث يقول: ((إني رأيت أن أذكر في هذا التقعيد من عرف من العلماء "ببجاية" في هذه المئة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وأذكر منهم من اشتهر ذكره، ونلى قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المئة ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي والفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي رحمهم الله لقرب عهدهم بهذه المائة، لأنهم كانوا في أعقاب المئة السادسة للتبرك بذكرهم ولانتشار فخرهم... ثم أتلوهم بذكر مشيختي، وأعلام إفادتي ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، 1978، ص 09)

والمدهق في هذا الكلام يلاحظ كلمة "التقعيد" التي جاءت في بدايته والتي تدل على أن الغبريني تمتع بوعي تاريخي يتضح من خلال دقته في عرضه لمعلوماته، كما أنه لم يعدل عن خطته في كتابه، ثم يجدد جملة العلوم التي سيتطرق إليها وهي علوم الدراية والرواية، وقد التزم الغبريني في تراجمه على العامل الزمني، ويمكننا القول إنه

لو راعى الغبريني في منهج كتابه تصنيف العلماء وفق العلوم التي برعوا فيها واشتهروا بها لكان أليق بكتابه الموسوعي؛ حيث تجاوزت تراجمه العلماء والأدباء إلى الأطباء.

2.2 : التوثيق للحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية ببجاية:

إن ذبوع التدوين التاريخي في الجزائر كان بفضل العلماء والفقهاء وكاب السور والتراجم الذين أرسوا دعائم هذا العلم، وقد جمع الغبريني مولود ومعلومات، وتفنن في ترتيبها، فألبس كتابه طابعا علميا ومنهجيا واعيا وهادفا ودونك الكتاب، و القراءة الفاحصة لكتاب عنوان الدراية الذي اهتم بشكل مباشر بالترجمة لأعلام القرن السابع الهجري ببجاية عفرنا على قيمته التوثيقية حيث إنه يزيل الغموض الذي يكتنف النشاط التاريخي والفكري والثقافي والاجتماعي وكذلك الأدبي، ويعرفنا على سياسة العصر وأهم التيارات الدينية الرائجة آنذاك والكتاب يفتح عليها جميعا (ينظر، دراسة وصفية تحليلية لكتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني، 2017، ص: 50) كما يهدنا ببعض عناوين المؤلفات التي لقيت رواجا وتم تلميحها لطلبة العلم إضافة إلى مكان وزمان تلقيها أحيانا، كما نتعرف على المشيخة الوافدين من الأندلس والمغرب وتونس ممن كان لهم ثقل وحضور لافت في بجاية وحواضرها، ويمكننا أن نستخرج معلومات تاريخية بالغة الأهمية، ونجد كل هذا مبثوثة في صفحات الكتاب

2.2.2 التوثيق لأعلام العصر:

تمضي معظم تراجم الغبريني للأعلام على هذا المنهج؛ وهو ذكر تاريخ ميلادهم وبعض مؤلفاتهم ونبذة قصيرة عنها وذكر بعض أخبارهم وعلاقاتهم بالمشيخة، ودور العلم ومكان وتاريخ الوفاة، إضافة إلى سرد بعض كراماتهم، خاصة إذا كانت الشخصية المترجم لها تتبع التيار الصوفي؛ وسنستعرض في الحديث عن هذه القضية في موضعها، ونجده في معظم التراجم يطيل الترجمة حتى تكاد تنحو منحى السيرة الغيرية؛ يقول في ترجمته لأبي الفضل القيسي: ((منهم الشيخ الفقيه الجليل العالم... الكاتب البار من أهل بجاية وأصله قد اشتهر ويعرف بابن محشرة، كان أبوه قاضيا ببجاية استدعاه الخليفة ابن عبد المؤمن إلى حضرته.... توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وولد سنة أربعين

وخمسائة أو قبلها بيسير)) (عنوان الدراية، 1978، ص 53، 55). " . وتجاوز ترجمته ثلاث صفحات.

من خلال هذه الترجمة تتضح عناية الغبريني للتوثيق لأعلام العصر، وأغلبهم عاصروا العهدين الموحيدي والحفصي، كما يوثق لأهم المصنفات المتداولة التي طالعها أو لم يعثر عليها وأخبره عنها طلبته؛ حيث يقول في ترجمته لأبي علي حسن بن محمد المسيلي (580هـ): ((له التذكرة في أصول علم الدين، وهو كتاب حسن طالعه وكررت النظر فيه فرأيت أجمل الموضوعات في هذا الفن)) (المصدر نفسه، ص 33).، ومعظم التراجم سارت على هذا المنوال إذا كان للمترجم له مؤلفات، كما أنه أشار في بعض المواضع إلى مصادر ومستندات نقل منها بعض ما أورده في كتابه.

2.3 التوثيق للحركة العلمية والفكرية ببجاية:

نجد في الكتاب عوامل نمو الحركة العلمية والفكرية في بجاية التي أضحت قبلة ومقصدا لطلاب العلم وذلك من خلال مؤسسات أسهمت في تنشيط حركة العلوم والفنون؛ كالمساجد والزوايا ومنازل الشيوخ، إضافة إلى عامل لا يمكن تجاهله وهو وفود علماء الأندلس إليها وهذا تزامننا مع الأوضاع السياسية الحرجة التي كانت تتعرض لها الأندلس من سقوط دويلاتها واستيلاء النصارى على العديد من الحصون بعد نكبة العقاب (609هـ، 1212م) في عهد الخليفة الناصر بن المنصور وما ترتب عليها من انهيار سلطان الموحيدين تزامننا مع الثورات الداخلية في شبه الجزيرة (دولة الإسلام في الأندلس، 1990، 32)، وهذه العوامل جعلت ببجاية وجهة للفقهاء والعلماء خوفا على حياتهم، وفي كتاب عنوان الدراية توثيق لأسماء الشخصيات الوافدة على بجاية، حيث ترجم للعديد من الشخصيات الأندلسية، وقد افتتح كتابه بترجمة للشيخ الفقيه أبي مدين بن الحسين الأندلسي (594هـ، 1198م) الذي وفد على بجاية، وكذلك الشيخ أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي (581هـ، 1185م) الذي سكن ببجاية وكان له تصانيف بها مع توثيقه من أين حصل على السجلات التي

استعان بها على ترجمته ، حيث يقول: ((رحل إلى بجاية وتخبرها وطننا وكمل بها خبره، فألف التآليف وصنف الدواوين وولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للتوثيق والشهادة وولى قضاء بجاية مدة قليلة، ولم يشتهر ذلك من أمره ولا اطلعت على ذلك إلا من رسوم وجدتها مسجلة عليه فيها، وكان ذلك في مدة ابن غانية المعروف بالميورقي للمتوني)) (عنوان الدراية، 1978، ص 42). وقد ساعده في الحصول على المستندات منصبه في القضاء.

من خلال هذه التراجم نعرف قيمة وثقل العلماء الأندلسيين في بجاية حيث إنهم تقلدوا مناصب مهمة في المؤسسات التعليمية وبلاط الدولة، وكذلك وُقّي لأعلام وفدوا على بجاية من داخل الجزائر منهم: أبو عبد الله التميمي القلعي (ت673هـ) حيث يقول في ترجمته: ((المحصل التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي من قلعة بني حماد، نشأ بالجزائر وقرأ بها وانتقل إلى بجاية مستوطنًا... كان له ببجاية وجاهة ونباهة)) (المصدر نفسه، ص 66)، وترجم لعلماء ارتحلوا إلى المشرق ونشروا ثقافتهم بها مثل: أبي العباس بن عبد الرحمن الغماري (682هـ، 1283هـ) حيث يقول في ترجمته: ((رحل إلى المشرق وقرأ و جد واجتهد، وحصل واتقن ولقي جملة مشايخ منهم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وغيره)) (المصدر نفسه، 95)

ويعرفنا الكتاب على طبيعة تلقين العلوم في بجاية فالصبي في سن صغيرة يتردد على الكتاتيب لحفظ القرآن وإجادة تلاوته، وهي عادة المغاربة على رأي ابن خلدون، و يذكر الغبريني طريقة ومكان تعلمه في سن صغيرة على يد شيخه أبي الحسن علي بن محمد الزواوي، حيث يقول: ((لقيته رحمه الله ببلد بني يثورغ بموضع سكنه منها وأنا على أول السن، ففرح بي واستدنانني لنفسه، وأخذ يقرأ ويقول ويمسح على رأسي... وأنا يومئذ في المكتب... وصحبته كثيرا وأخذت عنه)) (عنوان الدراية، 124)، ونلاحظ أن الطريقة المتبعة في طلب العلم، لازمة الشيوخ والتردد على مجالسهم، حيث يبدأ الشيوخ تحفيظ طالب العلم القرآن حيث كان ((التعليم الابتدائي في كل البلاد الإسلامية يقوم على تعلم القرآن الكريم قراءة

وكتابة، ويجب أن يحىء هذا في المقدمة، لاعتباره الأول في الأهمية)) (التربية الإسلامية في الأندلس، 1994، 76) ثم يلقنونه علوم اللغة والدين ويوثق الغبريني هذا، وقد قرأ على شيخه محمد بن حسن التميمي: ((قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرواية)) (عنوان الدراية 66)، وكذلك كانت مساكن الشيوخ وجهة لطلب العلم. ففي ترجمة الغبريني لأبي عبد الله بن أبي بكر الصنهاجي (ت 628هـ، 1231م) الذي سمع كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" من الشيخ أبي مدين، حيث يذكر الغبريني في ترجمته: ((وكان ذلك بداره ببجاية سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة)) (عنوان الدراية، ص 218) وهناك مساجد سميت بأسماء من كان يدرس فيها مثل مسجد الفقيه أبي زكريا الزواوي بصومة اللؤلؤة، وقد كان طلب الدراسات العليا كما يعرف في وقتنا في المساجد التي استقطبت كبار الفقهاء والعلماء، وأشهرها ببجاية الجامع الأعظم ومسجد القصبة، يقول الغبريني في ترجمته لأبي العباس أحمد بن محمد المعافري: ((كان جلوسه للقراءة والرواية بالجامع الأعظم ببجاية)) (المصدر نفسه، ص 316)، ويذكر الغبريني في برنامجه الشيوخ التي لقنت المعرفة في تلك المساجد وكتابه حافل بهذه التوثيقات، وقد أسهم الوفد الأندلسي في تطوير المعرفة المحلية ببجاية من خلال حركة التأليف التي لم تقتصر فقط على علوم الدين بل تجاوزتها إلى بقية العلوم.

تكمن قيمة الكتاب أيضا في كون أغلب من ترجم لهم كانوا قد عاصروا العهدين الموحد والحصص، ولهذا يعد المؤلف سجلا حافلا عن هذه الحقبة التاريخية التي عرفتها بجاية، ومن خلاله تتضح الصلات الوثيقة التي كانت بين مراكز العلم في العالم الإسلامي، وكذلك يدل على قيام الحضارة ببجاية والتي لا

تقوم إلا بوجود نظام اقتصادي وعلمي متكامل، يقول مؤرخ الحضارة " ول ديورانت (W.Durant) : " الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: ((الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء)) (قصة الحضارة، 2012 ص 03).

والدارس للكتاب أيضا يلمح فيه تيارات صوفية وفلسفية تسيطر على العصر حيث إن أغلب المترجم لهم كانوا ذوي توجه فلسفي وصوفي في الغالب، ولا يخلو الكتاب من ذكر كراماتهم وخوارقهم والتأثر بأفكارهم بسبب التردد على مجالسهم، حيث ((ازدانت الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، بتيارات صوفية منها ما هو نابع من السلوكيات اليومية للمتصوفة كل حسب زهده في التصوف، ومنها ما هو عبارة عن تيارات فكرية صوفية استقت أفكارها من نظريات صوفية فلسفية ومشرقية وأندلسية وهذه التيارات تنقسم إلى ثلاثة أنواع تيار التصوف السني، وتيار التصوف السني الفلسفي وتيار التصوف الفلسفي، وكل تيار يضم عددا من الاتجاهات)) (التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، د.ط، ص 103). كما نلاحظ أن الغبريني متحكم في المصطلحات الصوفية مثل: (الواصل القطب، الولاية، الكرامات، التبرك)، وهذا بسبب ((إيمانه المطلق بكرامات الصوفية وتفتحه على مختلف التيارات السنية والفلسفية، حيث أخذ الطريقة الغزالية عن عبد الله السجلماسي، و إمامه بأفكار المدرسة المدينية وتضلعه في النظريات الإشراقية التي أخذها عن أبي محمد بن عبد الحق بن الربيع (ت676هـ) وأبي زكريا بن محجوبة القرشي (ت677هـ) (المرجع نفسه، ص 22).

إن المتصفح الكتاب للمرة الأولى يعتقد أنه كتاب في التصوف وترجمان للشيوخ المتصوفة حيث لا يكاد يخلو من سرد لخوارق وكرامات المتصوفة في تعاملاتهم اليومية، حيث يوثق كرامات الشيخ أبي مدين شعيب مثل: أنه يعرف القادمين عليه قبل وصولهم إليه مع أنه لم يسبق له رؤيتهم من قبل، وكذلك حل المتصوفة للمسائل الصعبة التي عجز عن حلها، ويقص مناماتهم وكيف التقوا فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك نتعرف على عقلية البجائيين الذين كانوا يفضلون مكوث أقطاب التصوف في بجاية وكأنهم يحرسونها، ولا يمكننا أن نتجاوز قضية موضوع الكرامات الكثيرة الموثقة في الكتاب كاستجابة الدعاء ومحادثة وزيارة قبور أقطاب التصوف وكيف أن بركتها تحيط بالمكان والتنبؤ بالغيب (ينظر، عنوان الدراية، ص: 25، 154)، وكل هذا يدل على مكانة المتصوفة لدى أصحاب المناصب العليا وكذلك لدى عامة الناس والفقراء، وكتاب "عنوان الدراية" يهدنا بأخبار التصوف في القرن السادس والسابع الهجريين، وعن دور الصوفية الأندلسيين في إثراء حركة التصوف وكذلك العوامل الدينية والاقتصادية التي أسهمت في ازدهاره ورواج التأليف فيه.

2.3 التوثيق للحياة الاجتماعية ببجاية:

لا يغفل الكتاب التوثيق للحياة الاجتماعية في العصر ففي ترجمته للفقيه أبي الطاهر عمارة بن عمارة الشريف الحسني المتوفى سنة (585هـ، 1180م) يصف أسواق بجاية وما يفد إليها من سلع، وإضافة إلى تأريخه للطبقات العليا في المجتمع البجائي قد أمدنا بصورة واضحة عن الأوضاع الاجتماعية لفئات المجتمع الفقيرة وصور عن حياة الغسالين والمكاسين ويقصد بهم التجار. (عنوان الدراية، ص 45).

والكتاب حافل بتوثيق الحياة من جوانب متعددة حتى إنه يمكن الباحث فيه أن يفرد كل جانب منها ببحث مستقل، ومن هنا تكمن قيمته التوثيقية التاريخية التي تميزت بالدقة في الطرح.

3. قيمة الكتاب الفنية :

تحلى "الغبريني" بصفات العالم الموسوعي، ويتضح ذلك من خلال كتابه الذي انعكست عليه ثقافته الواسعة. وبعد أن تناولنا سابقا قيمته التوثيقية، نتساءل هنا: هل أغنى "الغبريني" نصوصه التاريخية وتراجمه بالأخيلة الإبداعية والمظاهر الفنية، أم أنه اتسم بالصرامة والدقة في العرض؟

1.3 أسلوب كتاب "عنوان الدراية":

يعد كتاب "عنوان الدراية" من مصادر تهذيب الذوق وتأديب الناشئة، ويتضح هذا من خلال لغة وأسلوب الكتاب النابع من مؤرخ جمع بين حقلين أدبيين هما: الشعر والنثر إضافة إلى تحليله بالحس النقدي، فكان طبيعيا أن يزخر كتابه بنصوص أدبية لها وزنها الفني والجمالي.

يتضح من خلال عنوان الكتاب تأثر الغبريني بأسلوب السجع الذي يضيف نغما وحركة على الجمل، وتكمن بلاغته في أنه يؤثر في النفوس و((السجع إما هو الاعتدال في مقاطع الكلام... والنفوس تميل إليه بالطبع)) (البلاغة فنونها وأفنانها، 2005م، ص 308) وقد استعرض مهارته اللغوية في مقدمة كتابه التي تقوم من بدايتها إلى نهايتها على العبارات القصيرة المسجوعة، فنجدته يقول: ((فإنه لما كان طلب العلم إللني فرضا على الكفاية حيننا ومعيننا في الحال، ولم يكن بد في تحصيله من تلقيه عن الرجال، وكان التلقي إما مباشرة أو عن سند ذي اتصال)) (عنوان الدراية ص 19)، وإذا تجاوزنا المقدمة إلى التراجم نجده قد سار على النهج نفسه؛ فعمد إلى الترجمة بعبارات تكاد تكون واحدة، حيث يقول: ((إمام العباد والزهاد وخاصة الخالصاء من فضلاء العباد... فتح الله عليه

مواهب قلبية، وأسراراً ربانية، استفادها بالتوجه والعمل، وارتقى إلى غاية ما ^(٢٢) ((المصدر نفسه، 22).

أما لغته فقد جمعت بين الوضوح والسهولة؛ فكانت لغة رصينة، حيث وفي بين اللغة العلمية لكونه مؤرخاً يتقصى الحقائق و بين اللغة الأدبية لكونه أديباً شاعراً فجاء كتابه يمتاز بالأسلوب الدقيق المنظم كما تتجلى فيه خصائص فنية؛ فنجد في تراجمه يتفنن في كلامه ويوظف محسنات بيانية وبديعية فتبتعد لغته عن اللغة العادية، حيث يصف "أبا مدين شعيب بلغة أدبية في ترجمته، فيقول: ((فدخلاً فألفياه يفيض في أمور، ويستخرج الدرر من قيعان البحور، فجلسا إلى أن فرغ من كلامه، ورجع إلى ما يخصه من مرامه)) (المصدر نفسه، ص 25)، وأيضاً يستعرض نصوصاً إبداعية له ولمن ترجم لهم، ويمدح "محمد بن أبي شنب" في أسلوب كتابه في قوله: ((كتاب تلوح أنوار الحقائق بين سبيل عباراته، ويعبق شذا عرف المعارف من بيان إشاراته) (المصدر السابق، ص 16).

لم يكتف الغبريني بالترجمة لأعلام عصره، بل أثبت بعض النصوص الشعرية والنثرية للمترجم لهم مما أضفى على كتابه طابعاً جمالياً.

2.3 التوثيق لنصوص أدبية:

عمد "الغبريني" إلى توثيق نصوص شعرية ونثرية قيمة مما أضاف إلى محتوى كتابه طرحاً جالياً يميل إلى أدب التراجم لتجاوزه التقرير والوصف فحسب، وقد نقل لنا صورة حية عن الحياة الأدبية وعن رواج سوق الأدب ببجاية في العصر الوسيط، ولم يكتف بإثبات نصوص شعرية، بل تجاوزها إلى توثيق أقوال للمتصوفة ومراسلات وخطب ومحادثات.

من خلال «مراجعة الأشعار المذكورة في الكتاب نلاحظ أن جلها يدور حول
الزهد والتصوف ومن الطبيعي أن تكون كذلك؛ فقد ازدهر الشعر في رحاب
الفكر الصوفي وعبر عن توجهاته، إضافة إلى وجود أغراض شعرية أخرى في
المدح والغزل والوصف والفخر وحتى الاستصراخ.

في التصوف نقل ستة عشر بيتا من قصيدة لأبي محمد عبد الحق بن ربيع
الأنصاري (ت 675هـ، 1285م) والتي مطلعها (البيسط) (عنوان الدراية 59).

سفرت على وجه الجميل فلُفرا وبدا هلال الحسن منها مقمرا
ودنت فكاشفت القلوب بسرها وسقت شراب الألس منها كوثرها
كما ذكر أبياتا في التصوف لأبي إسحاق إبراهيم بن الخطيب (أواخر القرن
السابع الهجري)، والتي مطلعها (البيسط) (المصدر نفسه، ص 231)
روض المعارف حضرة العرفاء وجنى التفكير جهة العقلاء
ونعم أهل الحق ذك حقائق لاحته بفق القلب حال صفاء
كما أورد سبعة عشر بيتا لأبي محمد بن يحيى بن عبد السلام التي يقول فيها
(الكامل) (المصدر نفسه ص 341)

ولو لم ينبني غير أني أحببه سعدت بذاك القدر عمري ولا أشقى
هكبي بي عزا أنه لي سديد وأني عبد لالا أريد له عتقا
ووفق قصائد لجزائريين منهم: "أبو عبد الله بن أحمد الإدريسي المعروف
بالجزائري، حيث ذكر له واحدا وخمسين بيتا في أغراض شعرية مختلفة، منها
قوله في الزهد (الكامل) (المصدر نفسه، ص 337)

يا من على وجوده المعهود أكل ويا ملاذي إذا ضاقت بي الحيل
غرقت في بحر أنامي فخذ بيدي وامنن بعفو فإني خائف وجل

والنماذج الشعرية في الزهد والتصوف كثيرة وأحيانا تتجاوز عدد أبياتها الصفحات مثل القصيدة الجيمية لأبي محمد الحضرمي القرطبي (ت 636هـ) في تخميس القصيدة المنفرجة .

وفي غرض المدح من القصائد التي يذكرها في كتابه قصيدة الشاعر أبي الحسن بن فكون القسنطيني (أواخر القرن السابع الهجري) في مدح مدينة بجاية (الرجز) (عنوان الدراية 334)

دع العراق وبغداد وشامهما فلاناصرية ما من مثلها بلد
بئر وبحر وسرح للعيون به مسارح بلن عنها الهم والنكد

وقد بلغت عدد الأبيات التي ذكرها له ستة وعشرين بيتا.

وفي ترجمته لابن الغمار الأنصاري (693هـ، 1294م) أورد أبياتا له في الزهد يقول فيها (الرجز) (المصدر نفسه 221)

لأما أن للنفس أن يخشعها أما أن للقلب أن يقلعها
أليس الثمانون قد أقبلت فلم تبق في لذة مطمعها

وفي غرض المدح بلغت عدد الأبيات التي وثقها للأديب الشاعر ابن دحية الكلبي (635هـ) ستة وأربعين بيتا، منها قوله (الطويل) (المصدر نفسه 273)

مالي لمائل برق بارق عنكم من بعد ما بعدت ديار منكم
وبمنح الأضلاع بل وادي الغضا من مهجتي يا راحلين نزلتم
أمنازل الأحباب أين أحبتي فهم إذا جئ الظلام الأنجم

ونجد أبياتا في الرثاء لأبي نصر الجيني، ويقول فيها (الطويل) (المصدر نفسه، ص 60)

بكيتك عبد الحق حقا لأندي بكيت بك الدنيا وما في جميعها

من الدين والأفضال والعلم والحجا وإن كنت زين الدين يا ابن ربيعها

في مواضع يذكر "الغبريني" أبياتا له، منها قوله (البيسيط) (المصدر نفسه، ص 33)

ومليحة شهدت لها أعداؤها والحسن ما شهدت له الأعداء

وهكذا تتراوح القصائد المذكورة في الكتاب بين الطول والقصر في أغراض شعرية مختلفة، والدارس لها يلاحظ قيمة اختيارات الغبريني التي وشح بها كتابه. أما بالنسبة للنصوص النثرية فنجد أنه ذكر مقولات كثيرة جدا للشيوخ المتصوفة منها قول أبي مدين شعيب: ((بي قل وعليّ بل فأنا الملك)) (عنوان الدراية ، ص 25) لا تقتصر النماذج النثرية التي أوردها على أقوال المتصوفة بل تتعداها إلى ذكر نصوص لرسائل ومحادثات مثل الكلام الذي دار بين "أبي العباس الغماري" وأمير المؤمنين "المستنصر"، حيث يقول: ((من ملح جوابه أنه لما كان ببجاية في ولايته الثانية، ونزل أمير المؤمنين المستنصر على قسنطينة... قال له الملك: يا فقيه سمعنا أن والي بجاية لو أراد أن يبنها لبنة فضة ولبنة ذهباً لفعل، فقال له مبادراً: يا مولانا يكون ذلك بالتفاتكم إلينا وعطفكم علينا، فسكت)) (المصدر نفسه، ص 110).

من ضمن الرسائل التي ذكر نصها في كتابه رسالة أبي الخطاب بن دحية (ت 633 هـ) لأبي علي بن يرمور "ينبهه على خديمه ليسرحه وقد أخذه مع الغزاة، وقد جاء في نصها: ((الشيخ الفقيه الأديب الجحجاح الهرماس ، أبو فلان، جحوظ الله - شعبان شفوته هذا الغطيس في اليم أخذ رجلاً لا يملك حرفة فيرى الزبقان فيخاله حولي ويرى الجعلى فيحسبه زنجياً)) (المصدر نفسه، ص 271)، وتحتاج الرسالة إلى معاجم في اللغة لشرح محتواها.

4 الحس النقدي في كتاب "عنوان الدراية": النقد ملازم للأدب ومهم في تطوره، وحيثما وجدت الممارسة النقدية أدرك تطور المباحث الأدبية في عصر بعينه ، والمطالع كتاب "الغبريني" يلمح حسه النقدي في التعامل مع النصوص الشعرية و النثرية على السواء، وهذه الممارسات النقدية في الكتاب تشير إلى أن "علوم اللغة وفنون الأدب في الجزائر كانت سائرة على خط النموذج العربي الإسلامي في المشرق العربي، بل حتى عندما بلغ الشعر مستوى الزخرف اللفظي والتنميق الصوتي

والموسيقي تبعه الشعراء الجزائريون في ذلك "الأدب الجزائري الحديث" (الأدب الجزائري الحديث، 1999، ص 23).

من خلال ملاحظة آراء الغربيين النقدية، نجد أنها تميل إلى النقد الانطباعي، الذي يعتمد على التعميم والذوق الشخصي والانطباع الكلي غير المبرر، دون اللجوء إلى التعليل. وغالبا ما يظهر ذلك في الكتاب، حيث لا يكاد يذكر أبياتا شعرية إلا ويدي رأيه فيها في جمل قصيرة دون تقديم مبررات واضحة.

وهذه جملة من الأبيات التي يمدنا برأيه فيها، حيث يعلق عن أبيات "أبي محمد الخضرمي القرطبي (الرجز):

لابد لضيق من فرج والصبر مطية كل شج
وبدعوة أحمد فابتهج إشتدي أزمة تنفرجي
قد آذن ليك بالبلج

، يعلق عليها بقوله: "وهو تخميس حسن لا بأس به" (عنوان الدراية 326) وفي مواطن يخص نقده حول المعنى، حيث يعلق على أبيات أبو جعفر ابن أمية التي يقول فيها (الطويل):

ظهرت فلم تعرف لشدة عقله عرضت فأنكرت النفوس ظهورها

يعلق عليها بقوله: "هي حسنة في معناها" (المصدر نفسه، ص 216) نلاحظ كذلك توظيفه لجملة من المصطلحات النقدية مثل (سهلة المأخذ، حسنة في معناها، معلومة الإفادة، ظاهرة الزيادة)، حيث يقول على أبيات "أبي زيد بن علي بن أبي دلال": ((وهي قصيدة سهلة المأخذ وهي خارجة اللزوميات لعدم تكلفها وقلة تعسفها)) (المصدر نفسه 235).

كما علق على شعر ابن الفكون القسنطيني في قوله: ((تواشيعه مستحسنة، ومن
مليح شعره))، وعن شعر أبي عبد الله الكناني قال: ((وله شعر حسن)) (المصدر
نفسه، ص 334).

نلاحظ أنه أحيانا يعمم نقده على كل شعر للمترجم له مع أنه من غير المعقول أن
يكون قد طالعه كله.

كما يبدي رأيه في قصيدة عبد الحق الأنصاري في قوله: ((قلت وهذه قصيدة حسنة
المعنى، قدسية المبنى، ولقد وقع الحديث معه في حديث مقتضياتها، ونظم مفرداتها
بمزدوجاتها)) (المصدر نفسه، ص 79).

، تبين عملية التحليل النقدي لشعر العلماء المترجم لهم أن الغبريني لا يقتصر في
نظره على الجانب العلمي فحسب، بل يعمق فهمه لإنتاجهم الأدبي، ليضمن بذلك أن
مصغه يشكل عملا متكاملًا وأداة تأثير فكري وثقافي. ورغم أن أحكامه النقدية غالبا
ما تكون محتشمة ومقتصرة على جمل قصيرة، فإن من عيوب نقده أنه يتحرج
أحيانا من نقد من ترجم لهم، مكثفيا بذكر محاسنهم، وهو ما قد يؤدي إلى ابتعاده
عن الموضوعية النقدية.

إن الشعر العربي تحديدا سلك منذ بداية تكوينه دروبا وعرة محفوفة بالمخاطر
ونشأ في صدام قبلي متأجج بالعداوة وذلك كان انعكاسا للبيئة التي أنجبته المتسمة
بالحل والترحال والنعرات القبلية، وقد كان النقد ملازما له مسهما في تطويره
وتجديده، وبذلك نتج صراع بين الاتباع والابداع، بين أنصار القديم ودعاة التجديد
(ينظر، حمادي، 1986م، ص 17)، وغالبا ما ينحاز الكاتب لأحدهما، وبالعودة إلى
موضوعنا الأساس المتمحور حول "الغبريني" وحسه النقدي نجده معجب بالشعر
القديم وبأساليبه التركيبية الجزلة ومع ذلك يتضح من خلال المترجم لهم أنه يدعو
إلى الإبداع الأدبي، وبهذا يعكس لنا موقفا نقديا من الأدب الذي لا يقوم على الابتكار
ويحاكي القديم كنموذج مثالي، ويعطي تقييما جماليا للأدب الذي يحمل طابع

التجديد، ويتضح ذلك من خلال إعجابه بأسلوب "أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القليعي"، في قوله: "كان يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس، وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري ينحو نحو المتنبي، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما ما يستظرف معناه ويورق محياه" (عنوان الدراية، ص: 72).

يتجلى في المقطع السابق حس "الغبريني" النقدي وتذوقه للنصوص الشعرية للمترجم لهم في مصفه، ووعيه النقدي بمدرستين شعريتين وهما مدرسة الصنعة التي كان زعيمها أبو تمام، ومدرسة الحفاظ على اللغة الفخمة التقليدية وابتكار المعاني وتجديدها التي كان زعيمها المتنبي، كما يتضح اختزاله للأساليب البلاغية في أوصاف موجزة في قوله: (يستظرف معناه ويورق محياه) للدليل على عمق الصورة البلاغية وحسن معناها، وذلك الحكم النقدي يصدر من ناقد ذواق للشعر عالم باتجاهاته الفكرية ومتبع لمظاهر تجديده في المشرق، وإذا كان نقده في كتابه يتسم بالقلّة فإن سبب ذلك يعود إلى أن مصفه موضوعه الرئيس تراجم الرجال من العلماء والفقهاء.

وإضافة إلى الآراء النقدية المتعلقة بالشعر فقد وظف جملة من المصطلحات النقدية الخاصة بمنهج التأليف، نذكر منها ما يلي: (طريقة، الإنشاء، الإصدار، التقسيم، الحدود، الأدلة وغيرها)، مما يدل على أن النقد التأليفي ملك ناصية المنهج وتحكم فيه (ينظر، الممارسات النقدية في عنوان الدراية للغبريني والبستان لابن مريم، 2008، ص 93، 94)، حيث وضح أن النقد لم يعد يقتصر على الانطباع والذوق بل يقوم على منهج نقدي وأدوات علمية واضحة كالتحديد المنطقي والاستدلال وكذلك التقسيم المنهجي، وعلى حدوث ثقافة بين علوم الأدب وعلوم المنطق.

5 السرد والتحليل في كتاب عنوان الدراية:

إن فعل (السرد) يعمل على إيصال الحقائق إلى أزمنة وأمكنة مختلفة، ويحفظها بنقلها من مجرد ملفوظات كلامية إل كونها تجربة وجودية واقعية وذلك عبر التواشج مع عنصر التحليل الذي يضيف عليها بعدا علميا يبتعد عن الخيال لحفظ مصداقيته وضمان سيرورته الزمكانية، و(للسرد فاعلية فلسفية ثقافية، تبرر في مشاهدتها بنى المواقف الوجودية والإيديولوجية والتمظهرات الثقافية المختلفة، وأصبح جزءا عضويا من الحياة) (: العرب في إسبانيا، دت، ص: 44).

يعد كتاب "عنوان الدراية" من أبرز المصنفات التي واشجت بين عنصري السرد والتحليل بطريقة تبين عن أسلوب صاحبه "الغبريني" الذي يقوم على التوثيق للحياة الفكرية التي ميزت القرن السابع الهجري، وحفظ الصلات الثقافية بين الدولة الحفصية والموحدية وبين المدائن الإسلامية.

وبالرجوع إلى مصنف "عنوان الدراية" نجد أن "الغبريني" يتبنى أسلوب السرد التاريخي التحليلي وهو نمط كلاسيكي بغرض عرض أسماء الشيوخ واتباع نمط ترتيبه كالتالي:

أ) أولا ذكر اسمهم ونسبهم ومولدهم ووفاتهم

ب) سرد رحلتهم العلمية

ت) ذكر مؤلفاتهم ومخطوطاتهم

وما يميز طريقته في السرد أن سرده واضح مباشر يبتعد عن الزخرفة اللغوية التي قد تبعده عن الموضوعية التاريخية والجرد العلمي ، ومن النماذج السردية المباشرة التي لا يبدي المؤلف رأيه وتحليله فيها نذكر ترجمته "لأبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد القيسي" وفيها قال: "نشأ ببجاية، وأخذ بها عن طائفة من العلماء، ثم انتقل إلى المشرق فسمع بدمشق والقاهرة من عدة شيوخ" (عنوان الدراية ، ص: 49).

يظهر من الترجمة السابقة أن "الغبريني" يتبع ساردا مراحل حياة المترجم له بدقة دون تحليل، مع أنه في مقاطع غيرها لا يكتفي بالسرد فقط بل يقدم للقارئ تقييما مزدوجا للشخصية أولا وصفه للشخصيات المترجم لها بصفات خلقية وأخلاقية كالورع والتقوى وكذلك الذكاء والنباهة، ويتضح ذلك في ترجمته "لأبي الحسن علي بن محمد بن سعيد القيسي، حيث قال: كان فقيها عالما، مدرسا في المدارس، متصبرا في حلق العلم، حسن الخلق، محبوبا عند الخاصة والعامة" (المصدر نفسه، ص: 84).

وهنا يتجاوز السرد التاريخي للشخصية بل يعتمد لتحليل الجوانب العلمية والاجتماعية التي تميزها، ونلاحظ أنه غالبا ما يقدم ما يختص بتقييم علم الرجال وتقديره على أخلاقهم مؤكدا على أهمية اقتران العلم بالأخلاق والثقة، وفي ترجمته للعالم "عبد الله بن محمد اللواتي" يقول: "وكانت له يد طولى في علم القراءات، جمع بين الرواية والدراية، فكان مرجوعا إليه في فقه" (المصدر السابق، ص: 137).

ومما سبق نستنتج أن "الغبريني" أسلوبا سرديا مميزا في تتبعه للتراجم ينتهي إلى المدرسة المغاربية التي تجمع بين الخبر والتحليل بإيجاز ودقة وتقتضب في التحليل الشخصي، بخلاف المدرسة المشرقية التي يتميز مؤرخوها في بعض مصنفاتهم بكثرة الأحكام الشخصية التي تقوم على الذوق واعتمادهم على التحليل الموسع للشخصيات مع التحيز لمذهب بعضهم، وبذلك تكون مصنفاتهم أدبية غالبا يحمل مكونات سير غيرية، نذكر على سبيل المثال منها: سير أعلام النبلاء للذهبي والوافي بالوفيات للصفدي مع أنها مؤلفات ضخمة مهمة لا ننقص من قيمتها العلمية والأدبية.

إن سرد "الغبريني" كان ذا هدف محدد يتمثل في تقديم مرآة صادقة تعكس بصدق وموضوعية الحركة العلمية والثقافية في حاضرة بجاية حيث ساهم السرد والتحليل في تقديم صورة متكاملة عن تلك الحركة وأظهر غزارة الإنتاج العلمي

مقارنة بمراكز علمية أخرى كالمشرق، وقد أولى أهمية كبيرة للقارئ والمتلقي حيث
ساعدهم على معرفة أنماط علمية سائدة في حاضرة بجاية.

الخاتمة:

- يعد كتاب "عنوان الدراية" من أهم المصادر في أدب التراجم التي أرخت للحياة
الفكرية والثقافية ببجاية.
- تناول الكتاب الترجمة لعلماء وفقهاء وأدباء بجاية في محل إقامة الغبريني، وقد
أخذ الغبريني معلومات كتابه من مصادر موثوقة؛ من شيوخه ذوي التخصصات
المتعددة، إضافة إلى أنه أشار إلى بعض الكتب والوثائق التي نقل منها نصوصا في
كتابه.
- كان للشيوخ المتصوفة دور بارز في إثراء وتطوير الحياة الأدبية وتوسيع مجالات
البحث في العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق.
- من خلال الكتاب نتعرف أماكن مجالس العلم وأهم العلوم التي كانت تلقن في
بجاية والتي أقبل عليها الدارسون.
- تأثير علماء وأدباء الأندلس في طريقة تأليف الكتب ونظم الشعر في غيرهم.
- يضم الكتاب نصوصا إبداعية، لها قيمتها الفنية، وتعد النصوص الشعرية التي
كانت من نظم الفقهاء والقضاة على سعة ثقافتهم وتبحرهم في العلوم، ونلاحظ
خلو الكتاب من تراجم لنساء شاعرات إلا في موضع واحد فقط حيث ذكر شعرا
لعائشة بنت الطاهر الشريف الحسني، ومع ندرة الشعر للنساء في الكتاب إلا أنه
دليل على مكانتها ودورها في بجاية.
- في مواضع يعلق الغبريني على دروس شيوخه تعليقات مفيدة مما يدل على ثقافته
وحسن رأيه.
- يشبه الكتاب في منهجه وموسوعيته كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي
(ت 756هـ، 1355م).

- ساهمت المزاجية بين السرد والتحليل في كتاب "عنوان الدراية" على تقديم صورة كاملة عن الازدهار العلمي بحاضرة بجاية.
- وأخيرا نقول إن الحديث عن "الغبريني" هو حديث عن مؤرخ أمين، وأديب رصين، وفقيه متمكن في علوم الدين، وعنوان الدراية خير دليل على ذلك.

التوصيات:

- ضرورة دراسة الكتاب من جانبه الأدبي والنقدي والبليوغرافي، ووفق مناهج حديثة تعنى بالبحث في السرديات.
- جمع وتوثيق ودراسة أشعار الغبريني المنتشرة في أماكن أخرى كالمغرب الأقصى.

المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

- ✓ ابن خلدون ع: تاريخ ابن خلدون، (2000م) تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، 1978م دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ✓ الغبريني أ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، 1978م) تحقيق: عادل نويمهض، 1978م) دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- ✓ القسنطيني إ: (1983م) كتاب الوفيات، (ط 04)، تحقيق: عادل نويمهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- ✓ المالكي إ، (دت) الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، (د.ط) دار التراث، القاهرة، مصر.
- ✓ النباهي أ، (1948م) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: ليفى بروفندسال، (ط 01) دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر.

قائمة المراجع:

- ✓ بونابي ال: دت، التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- ✓ الجارم ع: دت، العرب في إسبانيا، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ✓ حمادي ع: 1986م، دراسات في الأدب القديم، ط: 01، دار البعث قسنطينة الجزائر.
- ✓ ديورانت و: قصة الحضارة، دت، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، تقديم: محي الدين صار، د.ط، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- ✓ ركيبي ع: 1999م، الأدب الجزائري الحديث، ط: 02، دار الغرب الإسلامي.
- ✓ ربييرا ج: التربية الإسلامية في الأندلس، 1994م، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط: 02، دار المعارف، القاهرة.
- ✓ سعد الله أ: تاريخ الجزائر الثقافي، 1998م دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان.
- ✓ طول م، 2008م، الممارسات النقدية في عنوان الدراية للغبريني والبستان لابن مريم، مجلة الآداب واللغات، العدد: 14.
- ✓ عباس ف: 2005م، البلاغة فنونها وأفنانها، ط: 10، دار الفرقان، الأردن.
- ✓ عنان م: 1990م، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، ط: 02، دار الخانجي، القاهرة.
- ✓ غلاب س: 2017، دراسة وصفية تحليلية لكتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني، حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد: 02.
- ✓ لجنة من أدباء الأقطار العربية، د، ت، التراجم والسير، د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر.